



العلاج بالكي بمنطقة تلمسان

• أ.د. بن منصور مليكة (جامعة تلمسان)

• أ.لكحل نادية (جامعة تلمسان)

• أ.ناصر نجاة (جامعة تلمسان)

الملخص:

تناول البحث موضوع العلاج بالكي بمنطقة تلمسان حيث تحدث عن تاريخ استخدام الكي في الطب، ثم تطرق إلى عملية العلاج بالكي مبينا الأدوات المستعملة فيها، ومن تم إلى الأمراض التي تعالج بهذه الطريقة في مجتمع البحث.

Résumé

La recherche a étudié la cautérisation en médecine populaire dans la région de Tlemcen, On a retracé l'histoire de la cautérisation en médecine, examiné également le fonctionnement de la cautérisation et présenté les outils utilisés dans cette méthode, et les maladies qui peuvent être traitées par la cautérisation.

مقدمة

برغم التقدم الهائل للمخترعات والاكتشافات العلمية الحديثة، وتنوع الخبرات البشرية في مجالات الطب وصناعة الأدوية ووسائل العلاجات المتقدمة الأخرى، إلا أن بعض المجتمعات والفئات والأفراد ظلت على ولائها الأول للطب الشعبي وأشكاله العلاجية، وقد يكون هذا الوجود ناتجا عن نجاح الطب الشعبي وفائدته العلاجية أو قد يكون الأمر متعلقا بجوانب اجتماعية ثقافية، اقتصادية وغيرها من الجوانب التي رسمت الاستمرارية والنجاح لمختلف الممارسات العلاجية الشعبية حتى يومنا هذا.

والكي واحدا من أشهر أساليب الطب الشعبي التي اهتمت إليها الإنسان منذ القدم والتي رسخت كمعتقد استشفائي في أذهان الأفراد والجماعات عن طريق التجربة والرواية والتي مازالت متداولة بين سكان منطقة تلمسان. وبناء على ما سبق ذكره، ماذا يعني الكي وما هو تاريخ استخدامه؟ كيف تتم عملية الكي وما هي الأدوات المستعملة فيها؟ وما هي الأمراض التي تعالج بهذه الطريقة بمنطقة تلمسان؟

1- تعريف الكي

1-1- الكي لغة

تعريف الكي للعلامة ابن المنصور:

الْكِيُّ: معروف إحراقُ الجلد بحديدة ونحوها، كواه كَيًّا.

والْكِيَّةُ: موضع الكيِّ. والكاوياء: ميسمٌ يُكوى به. واكْتَوَى الرجلُ يَكْتَوِي كِتْوَاءً: استعمل الكيِّ. الرجل: طلب أن يُكوى. والكَوَاءُ: فعَّالٌ من الكاوي¹.

2-1- الكي اصطلاحا

هو علاج عرفه الإنسان منذ القدم ويمارس في كثير من البلدان حتى الوقت الحاضر، يقوم به بعض الأطباء الشعبيين ويتمثل في أن يلسع أو يحرق موضع الألم من جسم الإنسان المصاب بحديدة محمأة في النار، ويقال أن هذا العلاج لا يكون إلا بعد عدم جدوى العلاجات الأخرى حسب المثل الشعبي القائل "آخر العلاج الكي".

2- تاريخ استخدام الكي

كان العلاج بالكي من الطرق الشائعة في الأزمنة القديمة، ففي تاريخ الحضارة العراقية وردت بعض النصوص الطبية التي تتحدث عن بعض الأمراض وأسبابها وطرق معالجتها ومن بينها نص يشير إلى الكي كطريقة لعلاج أحد الأمراض إذ ورد فيه (إذا تألم الرجل من صدغيه فضع القضيب المتوهج على عضلات رقبته وسوف يشفى)²، كما وردنا من الحضارة اليونانية أيضا بعض الإشارات عن ذكر أبقرراط أحد حكماء اليونان للكي في محاولة لعلاج مرض

السرطان وما يترتب على ذلك من نتائج³ ، وقد استخدم المصريون القدماء الكي للأمراض الرئوية والمفاصل⁴ ، كما استخدموه الإغريق على نطاق واسع تطبيقاً لنظريتهم في الأخلاط والأمزجة، وجاء العرب فطوروا آتاه واستخدموه في علاج كثير من الأمراض، وقد كان من الصعب العثور على تفسير نظري لنجاح هذه الطريقة في تخفيف الآلام، وفي ذلك قال شاعرهم:

وقد يعجز الداء والدواء من أمري
ويشفيه من داء به الكي والفصد
وقالوا أيضاً "آخر الدواء الكي"

وعرف العرب المسلمون العلاج بالكي وورد في السنة المطهرة أكثر من حديث، ففي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ "إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ أَوْ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فِي شَرْطَةٍ مَحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ أَوْ لُدْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ وَمَا أُجِبُّ أَنْ أَكْتُوبِي"⁵.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ثلاث إن كان في شيء شفاء فشرطه محجم أو شربة عسل أو كية تصيب الما وأنا أكره الكي ولا أحبه"⁶.

وعن جابر رضي الله عنه قال "رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار، فانتفخت يده، فحسمه مرة أخرى" والحسم الكي. وعن أبي سفيان عن جابر قال "اشتكى أبي بن كعب فأرسل إليه رسول الله طيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه"⁷.

وقد استخدم أشهر الأطباء المسلمين من أمثال ابن سينا والرازي والزهراوي العلاج بالكي حيث يتحدث الرازي في كتابه "الحاوي في الطب" عن علاج عرق النسا بالكي ويقول يجب أن يكون مفصل الورك.

كما تحدث أبو القاسم الزهراوي في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" المكون من ثلاثين مقالة عن العلاج بالكي وأفرد لذلك مقالة خاصة ذكر فيها أكثر من خمسين مرضاً يعالج بالكي.

لذا يمكننا القول أن الكي من العمليات الطبية المشهورة وهو أحد أنواع أساليب العلاج الشعبي المتوارث، وكان الناس يلجئون للكي عندما تنعدم وتعجز كافة السبل العلاجية الأخرى فيضطر الناس إلى اللجوء إليه طلباً للشفاء، فهناك اعتقاد راسخ بأن للنار مفعولاً علاجياً مؤكداً لاعتقادهم أن بعض الأمراض سببها رطوبات فاسدة لذلك علاجها بالنار حيث يتم ذلك باستخدام أدوات وآلات حديدية لكي أحد أعضاء الجسم بعد تحميتهما في النار، وهو ما اصطلح على تسميته عملية الكي وهو أسلوب علاجي واسع الانتشار في ثقافات متعددة بل إنه يعتبر من أقدم الأساليب العلاجية التي استخدمت منذ فجر التاريخ.

3- عملية الكي

هي إحراق الجلد باستخدام أداة حديدية أو أي أداة أخرى وذلك بعد تحميتهما في النار. وعادة ما تبدأ جلسة العلاج بحديث قصير بين الكواء وبين أهل المريض وغالباً ما يستغرق ذلك الحديث الوقت الذي تحتاجه المكواة للتسخين، ويختار الكواء المكواة المناسبة للكي بحسب نوع المرض ومكان الكي وتحسى المكواة على النار عن طريق وضعها في فحم

متوهج، وتترك إلى أن يتحول لون الحديدية إلى الأحمر. وعادة لا يحتاج المعالج أن يطهر مكان الكي إذ أن عملية الكي لا تحتاج إلى تطهير المكان، فالنار يمكن أن تقضي على أي ميكروبات.⁸

ويلجا بعض الكوائين إلى تحديد مكان الكي باستخدام طباشير أو كحل أو قلم أو حتى رماد وذلك لكي يكون واثقا من المكان الصحيح للكي عند قيامه بذلك، أما في حالة الكي في الرأس فإن الأمر يتطلب حلق الشعر لتحديد مكان الكية، ولا بد أن يجمع الكواء بين أمرين ربما يصعب الجمع بينهما وهما أن تكون الكية عميقة بحيث تصيب المكان المقصود كيه وأن تكون خفيفة فلا تحدث حرقا في الجلد، ويؤدي إلى نجاح الكواء في ذلك عنصر المهارة والسرعة.⁹

4- أدوات الكي

المكواة أو الكاوياء أو أداة الوسم: حديدية توضع على النار حتى تصبح حمراء من الحرارة ثم توضع على المكان المصاب في جسم المريض، وهناك أنواع من أدوات الكي بأشكال وأسماء متعددة تستخدم للعلاج بالكي لأمراض مختلفة أيضاً. إلا أن جميعها عبارة عن حديدة طويلة قد تكون محنية الرأس كالتى تستخدم في علاج داء البرقان، عرق النسا، ورم الطحال، آلام الكبد، أوجاع الفقرات، الرأس وبعض أمراض الأطفال. وقد تكون نهاية بعضها مثل المسمار أو على شكل حلقة أو مستقيمة أو على شكل منجل¹⁰

5- الأمراض التي تعالج بالكي بتلمسان

هناك العديد من الأمراض التي تعالج بالكي ولكن في المقابل هناك مواضع من الجسم لا يجب كيه، وقد حددها المتخصصون في العلاج بالكي وهي¹¹:

- الأماكن اللينة المليئة باللحم

- الأماكن القريبة من الشرايين والأوردة

- المفاصل

وتعود أسباب ذلك إلى أن الأماكن المليئة باللحم هي اختباء الشرايين والأوردة وكما يعود بالضرر على المريض، لذلك فإن الأماكن القريبة من الأوردة والشرايين لا يجب الكي عليها، أما المفاصل فيجب أيضا الحذر فيها من الكي إذ أنها تعتبر مناطق خطيرة وبالذات منطقة مفصل الركبة والكوع.

وفي الجزائر عموما ومنطقة تلمسان خصوصا، يعد العلاج بالكي أحد أشكال التداوي الشعبي الشائع بين أهالي وسكان المنطقة، بحيث يلجأ العامة والخاصة من الناس إلى هذه الطريقة لعلاج أمراض شتى أهمها داء البرقان (بوصفار)، داء المفاصل، عرق النسا، إيقاف النزيف الدموي ولعلاج اللوزتين.

ففي تلمسان توارث أفراد بعض الأسر الشهيرة ممارسة العلاج بالكي الذي يعتمد بالدرجة الأولى على ما يسمى عند هؤلاء المعالجين بـ "الحكمة" التي اكتسبوها عن طريق أجدادهم والتي انتقلت إليهم بالتوارث.

وفي هذا الصدد تقول السيدة ش. فضيلة معالجة شعبية من منطقة الرمشي (تلمسان) أنها ورثت هذه الحكمة عن أمها قبل وفاتها، وتضيف أنها نجحت في علاج العديد من الأمراض بالكي ومن بينها داء اليرقان (بو صفار)، عرق النساء، العقم ... الخ

ولعلاج داء اليرقان مثلا تستخدم المعالجة في الكي قطعة من الحديد متوسطة بعد حنمها ثم وضعها في النار حتى يصبح لونها أحمر، يكوى بها المريض على الذراعين من الناحية الأمامية فوق الكوع بمسافة بسيطة، وإذا انتشر مرض بو صفار على الجسم كله يكون الكي على المعدة .. ويزول بعد 15 يوما بإذن الله تعالى. وهذه الطريقة تشترط على أن تكون للكاوي القدرة على تشخيص المرض ومن تم تحديد مواضع الكي.

ففي الطب الشعبي يفسر المعالجون - والمرضى - المرض ويشخصون أسبابه. ولذلك نجد المعالج بالكي يرد "لا يفلح الحديد إلا بالحديد" بحيث يفسر الأمراض التي يعالجها بالكي بأنها ناتجة عن عروق لا يتمكن الطب الحديث من علاجها ولا تجدي الأدوية الحديثة معها نفعاً، وقد يفلح الكي في إماتة العروق فيموت معها المرض. ولذلك يقوم بكمها بالنار سبع مرات أحيانا حتى يتخلص منها المريض نهائياً.

ومن جهة أخرى فإن المعالج بالكي يرى أن النار عادة ما تكون حارة وجافة، وبالتالي فهي تعالج الجروح والتآليل والأمراض الجلدية والعروق ذات الطبيعة الباردة الرطبة، وهكذا يحدث التوازن في جسم الإنسان ويتخلص من المرض.

وإذا كان السياق الثقافي يفسر أسباب المرض، فإنه يقدم - من جهة أخرى - الإشارات التي تقي الإنسان من المرض. وفي ضوء هذا السياق يقرر المعالج بالكي أن معظم الأمراض التي يعالجها إنما هي ناجمة عن الخوف والبرد وتعرض الإنسان لأذى الكائنات فوق الطبيعة، وعليه تكون الوقاية منها بتجنب الخوف وأذى الكائنات فوق الطبيعة والابتعاد عن تيارات الهواء الحارة والباردة التي لا توازن مع حالة الجسم الداخلية.

ففي دراسة قام بها الباحث علي عمار¹² حول "ملاحم العلاج الشعبي في منطقة حوض تافنة -دراسة ميدانية في الغرب الجزائري- مفادها أن الاتجاه نحو العلاج التقليدي يعتبر انعكاسا للعوامل البنائية المختلفة في المجتمع الجزائري. فالكي نمط علاجي يقتصر في أغلب الأحيان على كبار السن من الرجال والنساء، وأما النساء فإنهن يترددن عن العلاج بالكي في الوجه والأذن والرقبة والثديين خوفا من تشوه مكان الكي، وحتى لا يحدث أضرار تتسبب في انصراف الأزواج عنهن ورواجهم علمهن مرة أخرى. لذلك فإن مجتمع النساء يعتبر كبير السن نسبياً، علاوة على أنهم يعالجن بالكي في مواضيع غير ظاهرة¹³. والواقع أن المسنين يعتبرون الكي علاجاً لمعظم الأمراض في الوقت الحالي مثل بو صفار وبوجنب وعرق النساء والتهاب الكبد والاستسقاء والعقم والروماتيزم وغيرها. وهم يمارسونه لغاية الآن، بالرغم من التحديث الطبي والمادي والتعليلي والاتصالي، ومرد ذلك يعود إلى سيادة هذا النمط فيما قبل التحديث، واحتراف معظم كبار السن من سكان البادية الجزائرية لممارسته، حتى أن بعضهم يعالج نفسه بنفسه بالكي سواء من الرجال أو النساء. والاعتماد على الكي مستمر في مجتمع البادية الجزائرية، كما أن ممارسة العلاج بالكي تختلف من منطقة إلى أخرى في بعض المناطق في البوادي الجزائرية من حيث معالجة الأمراض إذ هناك بعض المعالجن يمارسونه لأنواع من الأمراض، وبعضهم يمارسونه لأنواع أخرى.

أما عن استعمالات العلاج بالكي في الطب الحديث فقد استخدم خاصة في الجراحة، حيث يستعمل الجراحون الكي في عمليات جراحة الأعصاب في قطع الأنسجة لكي تلتئم القطع في نفس لحظة القطع حتى لا يفقد المريض

نسبة كبيرة من دمه أثناء العملية الجراحية، وتكوى بعض الجروح أيضا لإيقاف النزيف وللتطهير في نفس الوقت، والأثر الطبي للكي هو إحداث احتقان للمنطقة المكوّبة وقد يفيد احتقان الجلد والأنسجة أو الأعضاء التي تحته في زوال الألم¹⁴. كما يستخدم الكي في علاج بعض الحالات المرضية لاسيما في إزالة الأورام والخراج الصغيرة التي تظهر في الجسم¹⁵ بحيث تحرق الكاويات الأنسجة وتفقد ماءها وتفكك الخلايا العضوية المركبة لها.

خاتمة

ونقول في خاتمة هذا المقال أن العلاج بالكي واحدا من فنون الطب الشعبي تفتقت عنه عبقرية الوجدان الشعبي تحت وطأة الحاجة الحياتية فضلا عن غريزة حب البقاء، ولا جدال في أن بعض مواضع الكي تخضع لتفسيرات علمية اكتشفها الطب فيما بعد، ولكن المعالج الشعبي اهتدى إليها بحكم التجربة التي هي عماد الطب الشعبي.

إن العلاج بالكي لا يزال يستخدم في الطب حتى وقتنا الحاضر سواء في الطب الشعبي من طرف المعالجين بالنار أو في الطب الحديث لعلاج مختلف الأمراض العضوية، فهو من الأساليب العلاجية التي لا غنى عنها اليوم في كافة التخصصات الجراحية وإن كنا بالطبع نستخدم آلات معقدة لتحقيق ذلك، وما استعمال الكهرباء في الكي في علاج بعض الأمراض السرطانية أو في العمليات الجراحية لوقف النزيف الوعائي إلا طريقة أخرى للعلاج بهذا الأسلوب، وحتى استعمال بعض الأشعة في معالجة بعض الأمراض ما هو إلا نوع من الكي ولكن بالطرق والوسائل الحديثة.

المراجع

1. ابن منظور، لسان العرب، مج 3، بيروت، دت، ص 324.
2. البدرى عبد اللطيف، الطب في العراق القديم، بغداد، 2000، ص 197.
3. الطبري أبي الحسن علي بن سهل، تحقيق محمد زبير الصديقي، فردوس الحكمة في الطب، برلين، 1928، ص 322.
4. يوليوس جيار ولويس ريتز، ترجمة أنطون زكري، الطب والتحنيط في عهد الفراعنة، 1926، ص 77.
5. الحديث أخرجه البخاري في كتاب الطب: باب الشفاء في ثلاث، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطب: باب الكي، وأخرجه أحمد في مسنده.
6. صحيح الجامع، رقم: 3026.
7. الجوزية ابن القيم، الطب النبوي، بغداد، 1988، ص 45.
8. عباس عيسى زينب، الطب الشعبي في البحرين، الثقافة الشعبية فصلية علمية متخصصة، السنة الرابعة، العدد 12، 2011، ص 97.
9. المرجع نفسه، ص 98.
10. عبد العزيز إلياس سلطان، العلاج بالكي في الطب الشعبي الموصلي "عرق النسا نموذجاً"، مجلة إضاءات موصلية، العدد 46، 2011، ص 6.
11. عباس عيسى زينب، مرجع سابق، ص 100.
12. عمار علي، ملامح العلاج الشعبي في منطقة حوض تافنة -دراسة ميدانية في الغرب الجزائري-، مقالة طبية، من موقع القاموس الطبي.
13. محمد علي محمد، دراسات في علم الاجتماع الطبي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 1984، ص 44.
14. الجوزية ابن القيم، الطب النبوي، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة، دت، ص 60.
15. الجوزية ابن القيم، الطب النبوي، تعليق: عبد الخالق، ج1، العلاج، دارالكتب، الجزائر، دت، ص 114.